٩- سيدنا موسى عليه السلام
كليم اللَّه

يعتبر النبى الكريم موسى عليه السلام ٠٠ من أوائل الأنبياء والرسل الذين ارتبطوا فى واقع الأمر بأولى الرسالات السماوية المكتوبة ٠٠ إذ بعثه اللَّه وكما نعلم جميعًا لبنى إسرائيل حاملاً لهم أول كتاب منزل من السماء فيه هدى ورحمة ، وقد عاصر هذا النبى الكريم فترة خصبة من تاريخ مصر الفرعونى ، لا يزال عليها خلاف كبير بين المؤرخين ، هذه الفترة التاريخية ارتبطت هى الأخرى بمسار هذه الرسالة وتوقيت نزولها على بنى إسرائيل الذين ظلوا يعيشون فى مصر منذ وصول النبى الكريم يوسف عليه السلام ثم أبيه وبقية أفراد قبيلته من أرض كنعان بفلسطين٠

لقد أرسل رب العالمين رسوله ونبيه الكريم موسى عليه السلام بالتوراة التى أنزلها عليه فوق أرض سيناء ٠٠ لهداية بنى إسرائيل ، وتعريفهم أصول التوحيد ٠٠ بعدما نسوه منذ عهد يوسف عليه السلام٠

ونظرًا لأن هذا النبى الكريم قد بُعث لقوم مجادلين كما بعث فى فترة زمنية شهدت ازدياد الكفر باللَّه خاصة من جانب فرعون وهامان وقومهما ، فقد أمده اللَّه بعشر آيات بينات ٠٠ استطاع من خلالها وفى ظل رعاية اللَّه إظهار الحق والانتصار له ، رغم ما كلفه ذلك من مشاق سواء مع بنى قومه أو مع آل فرعون !٠

وكذلك تعتبر رسالة موسى عليه السلام والمعروفة بالرسالة اليهودية من أوائل رسالات السماء التى تلقاها نبى بحديث مباشر وقع بين رسول وبين ربه ، وقد أوضح لنا ذلك رب العالمين فى قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى ۞ إِنِّي أَنَا**

رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ۞ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ۞ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ۞ فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾ [طه : ١١-١٦] ..

هذا الحديث الذي دار بين النبى الكريم موسى عليه السلام وبين رب العالمين قد جاء من وراء حجاب - وقد بين لنا ذلك القرآن الكريم فى حديث رب العزة عن الكيفية التى كانت تتم بها مناجاة رب العالمين لعباده المصطفين الأخيار من الأنبياء والرسل ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى : ٥١].

وموسى عليه السلام .. يعتبر كذلك من الأنبياء والمرسلين الذين ابتلاهم رب العالمين .. كما ابتلى من قبل غيره من الرسل المقربين ، وجاء هذا الابتلاء متنوعًا ومرتبطًا بأكثر من فترة تاريخية فى حياة هذا النبى الكريم. وكعادة هؤلاء المصطفين .. فقد صبر النبى موسى عليه السلام سواء مع نفسه التى ابتلاها الله أو فى صحته ، أو مع قومه .. وآل فرعون ..

وسوف نتحدث تفصيلاً عن هذه الابتلاءات عندما نفرغ من بيان بعض الذي قيل عن حياة هذا النبى وعن نسبه ومولده ، وبعض الومضات النورانية من حياته الشريفة.

وكما سبق أن أوضحنا فقد ارتبطت رسالة موسى عليه السلام ، بقومه من بنى إسرائيل .. وكذلك بالقوم الذين أقاموا معهم .. وهم آل فرعون ، لذلك فإن قصة موسى عليه السلام وأخيه هارون تعتبر على رأس القصص التى تكرر الحديث عنها فى القرآن الكريم فى أكثر من عشرين سورة ، تارة - كما يؤكد ذلك الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى - بصورة مختصرة ، وتارة بصورة مفصلة.

ومن السور القرآنية التى تحدثت عن هذه القصة بصورة مفصله سور البقرة ، الأعراف ، وطه ، والشعراء ، والقصص.

ولقد اقتضت حكمة اللَّه أن يولد هذا النبى الكريم فى عام يقتل فيه المواليد من أبناء بنى إسرائيل عقابًا لهم على بغيهم وطغيانهم وإفسادهم . هذا العام نفسه هو الذي بدأ فيه أول الابتلاءات التى أصيب بها موسى عليه السلام .. إذ حكم عليه رب العزة أن يعيش غريبًا وحيدًا وبعيدًا عن أمه .. هذه الغربة كانت فى الوقت نفسه رحمة من اللَّه .. إذ نجاه من زبانية فرعون الذين أرادوا قتل كل طفل يولد لبنى إسرائيل .. فإذا كان ابتلاء موسى عليه السلام فى الظاهر ابتلاء غُربة ، وحرمان من رعاية الأمومة .. فكان هذا الابتلاء نفسه من ناحية أخرى ابتلاء رحمة ونجاة من القتل والعذاب.

ولما صبر موسى عليه السلام وكذلك أمه .. رزقه اللَّه بالآيات البينات التى كانت سلاحه الفتاك فى معركته ضد الباطل مع فرعون وآله. وكذلك ابتلى رب العزة نبيه موسى عليه السلام بارتكاب جريمة قتل المصرى ، ولولا رعاية اللَّه وإرادته وحكمته لكان فى عداد المقتولين أيضًا.

ولقد صبر موسى عليه السلام على ما كتبه اللَّه عليه .. فتاب وأناب فرزقه اللَّه بالبينات والرسالة والتوراة ، وكان ذلك هو الابتلاء الثانى فى حياة نبى اللَّه موسى .. ثم جاءه الابتلاء الثالث فى صورة انعكست على صحته عندما أصيب فى لسانه .. فأصبح لا يجيد الكلام ، وقد عوضه اللَّه عن ذلك بأن وهب له أخاه هارون وزيرًا.

إن الوقوف على تفاصيل هذه الابتلاءات لا شك سوف يكمل لدينا صور ابتلاء الأنبياء الذين صبروا وتقبلوا قضاء اللَّه فى حب وطاعة فكان الجزاء كبيرًا.

ولقد رأينا من قبل الوقوف على تفاصيل هذه الابتلاءات فى حياة موسى عليه السلام ضرورة الوقوف على قبس من نور من مسيرة حياته وكذلك نسبه.

وموسى عليه السلام ينتهى نسبه إلى إبراهيم عليه السلام .. فهو موسى بن عمران بن

يصهر، بن ماهيث ، بن لاوى ، بن يعقوب بن إسحاق ، بن إبراهيم ، وكانت ولادته على الأرجح فى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام.

وهناك من الكتب التى توسعت كثيرًا فى ذكر طفولة ونسب موسى عليه السلام .. ومما قيل فى هذا الشأن أنه ولد فى السنة السابعة من حكم رمسيس الثانى ، وهو قول الدكتور رشدى البدراوى .. أما الدكتور محمد سيد طنطاوى فيرى أنه ولد فى عصر « منفتاح » ابن رمسيس الثانى.

وتقول التوراة عن تفاصيل ميلاد موسى عليه السلام : إن أباه كان قد تزوج عمته. إذ تقول التوراة فى الإصحاح ٦ خروج : وأخذ عمرام بن قهات يوكان عمته زوجة له .. فولدت له هارون وموسى.

ويؤكد بعض المؤرخين أن ذلك كان مسموحًا به فى شريعتهم إلى أن جاء موسى فحرم ذلك وعاش موسى عليه السلام وسط بنى إسرائيل حوالى ١٢٠ عامًا ، حيث مات فوق جبل نبو أمام أريحا ، ودفن هناك ولا يعرف إنسان قبره إلى اليوم .. ، ويقال إن بنى إسرائيل بكوا على رحيلة ثلاثين يومًا.

ابتلاء الغربة

لقد شاءت حكمة اللّه تعالى .. أن يولد موسى عليه السلام .. ولا يعيش فى حضانة أمه إلا ثلاثة أشهر فقط .. إذ حكم عليه رب السموات والأرض أن يوضع فى تابوت صغير ، بيد أمه فوق سطح الماء الجارى لكى ينقذه من عذاب القتل ، ويكون فى الوقت نفسه مثار فتنة وإزعاج لآل فرعون !.

ويقول ابن كثير فى هذا السياق : إن الأولين ذكروا أن فرعون - وقد اختلفوا فيمن يكون - لما أكثر من قتل ذكور بنى إسرائيل قيل له : إن استمر هذا الحال يموت شيوخهم وغلمانهم يقتلون فمن يقوم بما يقومون به من أعمال ، فأمر بقتل

الولدان عامًا وتركهم عامًا ، فولد هارون فى السنة التى يترك فيها الولدان ، ، وولد موسى فى السنة التى يقتلون فيها الولدان ولما حملت به أمه لم يظهر عليها مخايل الحمل ووضعته سرًّا بدون مساعدة القابلات ، ولكن خافت أن يدرى به فرعون ففعلت كما أوحى اللَّه سبحانه وتعالى إليها ووضعته فى صندوق وألقته فى اليم ، أى فى فرع نهر النيل الذي كان بيتها مجاورًا له.

وفى ذلك يقول اللَّه تعالى فى القرآن الكريم : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِن الْمُرْسَلِينَ ﴾[القصص : ٧].

﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى۞ أَن اقْذِفِيهِ فِى التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِى الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ﴾[طه : ٣٨-٣٩].

وكذلك كان هذا الابتلاء لأم موسى فى الوقت نفسه التى خافت عليه من القتل .. فتحملت غربة وليدها الصغير . فى صبر ، مما كان له أكبر الأثر فى نفسها ، ولقد علم به رب العالمين. فكافأها على صبرها بأن أعاده إليها من جديد ، ولكن لفترات محدودة.

ويصور لنا القرآن الكريم حالة أم موسى عليه السلام ، وما كانت عليه حين أوحى إليها بإبعاد ابنها عن قلبها ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِن الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ١٠].

وفى قوله تعالى : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾[القصص : ١٢]..

وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى۞ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى۞ أَن اقْذِفِيهِ فِى التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِى الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي۞ إِذْ

﴿ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾[طه : ٣٧-٤٠].

ورغم أن أم موسى قد عادت لوليدها الرضيع ربما بعد أيام قليلة فاستراح قلبها .. إلا أن غربة موسى عليه السلام قد طالت .. فى ظل هذا الخوف الذي سيطر على أسرته .. إلى حد أنهم أنكروا معرفتهم به .. إلا على سبيل الشفقة وتقديم خدمة لآل فرعون وإمرأته التى التقطته من اليم .. والتى أقنعت زوجها بألا يقتل هذا الرضيع ليكون لها قرة عين.

وفى ذلك يقول القرآن الكريم ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾[القصص : ٨]..

ولقد انصاع فرعون لرغبة امرأته فظل موسى فى كنفهما يعيش لسنوات مدة طفولته وهم له منكرون ! ، وأمه وأخته ، بل وقومه لم يجرؤوا أن يقولوا إنه من شيعتهم ! ، حتى موسى نفسه .. حين كبر لم يعلم بنسبه إلا متأخرًا ، بل وأكثر من ذلك فقد ظل الخوف يطارد موسى عليه السلام وأسرته حتى من بعد اطمئنان أمه برؤيته ونجاته من القتل ، وفى ذلك يروى الرواة .. أن كبير الكهان قد فطن إلى حقيقة أن قطعة النسيج التى كانت تحت الطفل فى الصندوق هى من صنع بنى إسرائيل ، ولما جاءت أم موسى لترضعه زادت شكوكه فى أن يكون هذا الطفل من بنى إسرائيل ، ولكنه كتم شكوكه ؛ لأن بعض المصريين كانوا كثيرًا ما يشترون مثل هذه الأقمشة الصوفية من بنى إسرائيل ، ووجودها فى الصندوق ليس دليلا مؤكدًا على أن الطفل هو لعائلة من بنى إسرائيل.

ولقد هيأ اللّه لهذا النبى الكريم موضعًا كريمًا ، مما زاد الشك فى قلب هذا الكاهن ، وذلك حين رأى اندفاع امرأة فرعون لأجل استبقاء هذا الطفل واصطفائه لها ولزوجها.

ونظرًا لتدخل رعاية اللَّه - فحفظت عبده ونبيه موسى عليه السلام - فقد ظل يعيش فى كنف فرعون فترة صباه وشبابه وكذلك نجاه من معتقدات فرعون واحتفالاته الدينية ٠٠ إذ لم يكن ذلك الفرعون ليوافق على اصطحابه معه لحضور حفلاته الدينية التى يمجّد فيها كإله ! ، إذ لو ناداه على حد قول الدكتور رشدى البدراوى صراحة أمام الناس « ابنى موسى » لاعتُبر ابنًا حقيقيًّا ويصبح له حق وراثة العرش ، وهو ما كان الفرعون يرفضه ، فكان كثيرًا ما يترك موسى يلهو فى قصره وحدائقه٠

وكذلك تؤكد بعض الروايات أن امرأة فرعون قد ولدت ابنا لها ، بعد خمس سنوات من فترة إقامة موسى فى قصر فرعون ، مما زاد من غربته ٠٠ إذ انحسر عنه كل ما كان يلقاه من رعاية واهتمام !٠

وتقول هذه الروايات أيضًا : إن موسى عليه السلام ٠٠ لما بلغ الخامسة عشرة من عمره ٠٠ وفى ظل ما كان يلقاه من عدم اهتمام به مثل أخيه من فرعون ! !٠ عرف أنه ليس ابنا حقيقيًّا للفرعون ، وبالتالى خرج من القصر ليبحث عن أسرته الحقيقية ، وقد عثر آنذاك على المرأة التى أرضعته وهو وليد ، فأخبرته بحقيقة نسبه ، وأنه ابنها٠ وهو من بنى إسرائيل ٠٠ وليس من أولاد فرعون !٠ وأن أخويه هما هارون ومريم٠

وهكذا نرى أن صبر موسى عليه السلام قد أثمر عن عودته إلى أسرته ، بل وكافأه اللَّه بغير ذلك من المكافآت الربانية العظيمة ، وقد تجلى ذلك فى قول اللَّه تعالى: ﴿ يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِنْ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٤] ، وكذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [القصص : ١٤]٠

الابتلاء فى الصحة

رغم ما قيل بشأن قوة بنيان موسى عليه السلام .. مستدلين فيما قالوه .. على ما حدث له فى قصته مع المصرى الذي قتله بضربة واحدة من قبضة يده ، وما حدث له مع المرأتين اللتين سقى لهما مراعيهما .. حين رفع وحده تلك الصخرة الكبيرة التى كانت فوق بئر الماء فى أرض مدين ، إلا أن اللّه تعالى قد ابتلى موسى عليه السلام بعلة فى لسانه ! ، عاقت كثيرًا ما كان يؤديه من حوارات مع الآخرين.

ولما بعثه اللّه برسالته لفرعون وقومه .. خاف موسى عليه السلام .. من أن تعوقه هذه الإصابة فى لسانه ، فطلب العون من اللّه فى صورة أخيه هارون الذي تمنى أن يكون له بمثابة وزير أثناء أداء مهمته تجاه هداية فرعون وملئه !.

ولقد ذكر المفسرون روايات كثيرة عن توقيت وسبب إصابة موسى عليه السلام بهذه العلة ، مؤكدين أن ابتلاءه بها ، قد حدث وهو صبى صغير ..

ومما ذكروه فى هذا السياق .. ما نقله عنهم الثعلبى فى كتابه « عرائس المجالس » : لما ترعرع موسى عليه السلام. قالت آسية زوجة فرعون أحب أن ترينى ابنى فوعدتها يومًا تريها إياه فيه فقالت آسية لخواصها : لا يبقى منكن واحدة إلا استقبلت ابنى بهدية وكرامة فإنى باعثة بأمينة تحصى ما تصنع كل قهرمانة منكن ، فلم تزل الهدايا والتحف تستقبله من وقت أن خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون ، فلما أن دخل عليها أكرمته ، وفرحت به وأعجبها ما رأت من حُسن أثرها عليه ، ثم قالت لها انطلقى به إلى فرعون ليكرمه فلما دخلت به على فرعون أخذه ووضعه فى حجره فتناول موسى لحية فرعون حتى جذبها ونتف منها بعض شعرات ، وكان فرعون طويل اللحية بل ويقال إنه لطم وجهه.

وفى رواية أخرى أنه كان يلعب بين يدى فرعون وبيده قضيب صغير فضرب به على رأس فرعون ، فغضب غضبًا شديدًا وتطير منه. وقال : هذا عدوى المطلوب

فأرسل إلى الجلادين ليذبحوه ، فبلغ ذلك امرأة فرعون فجاءت تسعى إليه وقالت : ما بدا لك فى هذا الصبى الذي قد وهبته لى ، فأخبرها بما فعل موسى ، فقالت له : إنما هو صبى لا يعقل وإنما جعل هذا من صباه ، وأنا أجعل فيه بينى وبينك أمرًا تعرف به الحق ٠٠ وأضع له حليًا من الذهب والياقوت وأضع له جمرًا ٠٠ فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه ، وإن أخذ الجمرة علمت أنه صبى ! ، فقبض موسى على الجمرة فأحرقت لسانه ، فقالت له آسية : ألا ترى ما فعله ؟ إنه صبى لا يعقل ، فكف عن قتله٠

ويؤكد الثعلبى فى رواياته أن اللّه قد صرف عن موسى فى هذا الموقف ذلك السوء فلم يزل عزيزًا فى بيت فرعون ، وقيل فى هذا الشأن كذلك إن موسى عليه السلام كان سيقبض على الياقوت ، ولكن جبريل عليه السلام ، حول يديه إلى الجمرة التى التقطها بين شفتية فأحرقت فمه !٠

هذه الروايات لاحظناها منشورة فى كثير من كتب التفاسير وكتب التاريخ ، وكذلك قصص الأنبياء حتى أن الشيخ الإمام محمد متولى الشعراوى قد نقلها فى خواطره٠ مع بعض التعديلات٠ إذ استبدل الياقوت بالتمر! ، مع وجود الجمرة التى أصابته بلثغة تسببت فى عقدة لسانه ، واللثغة فى قاموس اللغة العربية ! ، تعدل الحرف إلى حرف غيره ، والألثغ : هو الذي لا يستطيع أن يتكلم بالراء ، وقيل: هو الذي يجعل الراء غينًا أو لامًا ، أو يجعل الراء فى طرف لسانه ، أو يجعل الصاد فاء ، وقيل : هو الذي يتحول لسانه عن السين إلى الثاء٠ وقيل غير ذلك فى لسان العرب٠

ولما كبر موسى عليه السلام ٠٠ كبرت معه علته ٠٠ فكانت كثيرًا ما تعوق حديثه مع الناس ٠٠ وقد صبر على ذلك إيمانًا منه بأنه لا يصيب الإنسان إلا ما كتبه اللّه عليه ٠٠ ولكن حين أبلغ برسالة السماء بعدما اصطفاه اللّه ليبلغ رسالته وكلامه إلى بنى إسرائيل وآل فرعون ٠٠ خشى موسى ألا تسعفه هذه العلة فى هذه المهمة

المقدسة ·· لذلك نراه وقد دعا ربه بأن يهب له أخاه هارون وزيرًا أى سندًا ومعينًا له ··

وبالفعل استجاب رب العالمين لدعاء عبده موسى عليه السلام ·· فجعل من أخيه الكبير هارون عليه السلام معاونًا له فى إبلاغ رسالته لقومه ولآل فرعون ، بل وأكثر من ذلك وتكريمًا لصبر هذا النبى على ابتلائه بهذه العلة ·· فقد جعل من أخيه هارون مشاركًا له ومعاونًا إياه فى كل خطوات تبليغه رسالة السماء·

وقد ظل هارون بالفعل بجوار موسى عليه السلام حتى توفاه اللّه من بعد رحلة التية فى صحراء سيناء·

ويقول الدكتور رشدى البدراوى عن تأثير هذه العلة من وجهة نظره فى مسيرة دعوته ·· أنه لما كُلف موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون لأنه طغى وبغى فى الأرض· أدرك موسى جسامة تلك المهمة ، وأشفق ألا يستطيع القيام بها ، ورغبة منه فى إنجاز ما كُلف به على الوجه الأكمل بدأ فى البحث عن نقاط الضعف فى موقفه ؛ ليعمل على علاجها بمعونة اللّه وتوفيقه·

وكان من أهم هذه النقاط ذلك الضعف الذي أصاب لسانه من جراء ما حدث له مع فرعون حين عرضوا عليه التمرة والجمرة ، فأدرك أن هذا الأمر قد يعوقه عن أداء مهمته إذ أن إقناع الفرعون مهمة شاقة وتحتاج إلى قوة بيان وفصاحة لسان وسعة صدر لدحض ما يتقول به من ألوهية وما يفعله من طغيان·

ويبدو ذلك جليًا فى قول موسى عليه السلام وفق ما جاء بالقرآن الكريم : ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِي ۞ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنطَلِقُ لِسَانِي** ﴾ [الشعراء : ١٢]، وهنا طلب موسى عليه السلام من اللّه علاجًا لهذا الأمر وذلك فى قوله تعالى : ﴿ **قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۞ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۞ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ۞ يَفْقَهُوا قَوْلِي** ﴾
[طه: ٢٥-٢٨]

بل وأكثر من ذلك ولشعور موسى عليه السلام بثقل هذه المهمة ، فقد أراد عونًا من أخيه ، لذلك فقد دعا ربه بأن يحقق له هذه الأمنية ٠٠ وبالفعل تحقق ما نادى به عليه السلام ٠٠

ويبين لنا القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى : ﴿ **وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ۞ هَارُونَ أَخِي ۞ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۞ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ۞ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۞ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۞ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا** ﴾ [طه : ٢٩ - ٣٥] ، وفى قوله تعالى فى سورة القصص : ﴿ **وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ** ﴾ [القصص : ٣٤]٠

وهكذا أصبح هارون نبيًّا بعدما أشركه اللّه فى أمر أخيه موسى وقد أمرهما بالذهاب إلى فرعون ٠٠ حيث قال رب العالمين : ﴿**اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۞ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**﴾ [طه : ٤٢ ، ٤٣]٠

الابتلاء فى النفس

وكان هذا النبى الكريم على موعد مع الابتلاء الثالث ٠٠ حين وسوس له الشيطان ، فارتكب جريمة قتل انتقامًا لأحد رعايا قومه من بنى إسرائيل ، وفى تصور العديد من المفسرين ، أن موسى عليه السلام حين أقدم على ضرب المصرى ، لم يكن يقصد قتله ! ، وقد اقتضت مشيئة اللّه بهذا الفعل أن يغادر موسى القصر ، بل ويغادر مصر كلها ٠٠ لأجل أن يتلقى هناك فوق أرض سيناء رسالة السماء٠

وكانت البداية على حد قول شيخ الإسلام الدكتور عبد الحليم محمود ٠٠ أن موسى عليه السلام حين دخل المدينة بعدما غادر القصر ، فى وقت هدأ فيه السير وانقطع السائرون ٠٠ واستكان كل إنسان فى بيته يطلب الراحة والهدوء٠ وإذا به يجد رجلين يقتتلان : أحدهما من شيعته والآخر من أعدائه ، وكان موسى معروفًا لدى جمهور الشعب ، فأخذ الذي من شيعته ، يستغيث به ويستنصره ، واقترب

منهما موسى ليفض النزاع ويحسم الخصومة وإذا به من غير قصد يلطم الذي هو عدو لهما لطمة لم يكن يقصد أن تكون قاتلة - وحاشا لنبى أن يقصد ذلك- فإذا فيها القضاء عليه ، وإذا به يخر ميتًا.

وهناك من يؤكد أن موسى عليه السلام قد وكز المصرى فى رقبته .. وفى موقع القتل كما يقولون ، عندئذ أدرك موسى عليه السلام أن هذا الخطأ من الشيطان الذي يريد أن يوقعه فى الإثم ، صحيح أنه قتل خطأ وبدون قصد إلا أنه قتل النفس التى حرم اللَّه قتلها إلا بالحق.

ولنا أن نتصور حال موسى عليه السلام .. حين وجد نفسه متورطًا فى جريمة قتل. لأحد أبناء المجتمع الغريب الذي يقيم فيه هو وقومه .. وهم كانوا من قبل يتوعدونه بالقتل حتى وهو وليد ، مثل أقرانه من أبناء شيعته من بنى إسرائيل. فما كان منه إلا أن دعا ربه أن يخفف عنه هذا البلاء .. وقد اعترف أمام اللَّه وفى دخيلة نفسه بما ارتكب وطلب المغفرة من اللَّه ، وبالفعل استجاب له رب العالمين فغفر له .. بل ونجاه من هذا الابتلاء الجديد بأن أوحى إليه بالرحيل من مصر كلية .. خشية أن يقتله أهل هذا المصرى .. وكانت هجرته هذه على موعدة من اللَّه حتى يصير إلى أرض الميعاد .. ليتلقى فوقها وحى السماء ، وكلمة اللَّه بالتوحيد.

ولقد عبر القرآن الكريم خير تعبير عن هذا الابتلاء الجديد فى حياة موسى عليه السلام فى قوله تعالى : ﴿ **وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ۞ فَأَصْبَحَ فِى الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ** ﴾

[القصص : ١٥-١٨]

ولما تعهد موسى أمام ربه بألا يكون بعد هذا الفعل نصيرًا للمجرمين .. أراد اللّه أن يختبر صدق هذه التوبة وصدق هذا العهد الذي قطعه على نفسه .. ففى اليوم التالى لهذا الحادث كان موسى عليه السلام مارا فى المدينة فرأى الإسرائيلى نفسه الذي كان يتعارك بالأمس يتعارك مع أحد المصريين للمرة الثانية ، فاستغاث بموسى ، وقد كان على وشك أن ينضم إلى هذا الإسرائيلى كما فعل بالأمس. لولا أن تذكر القسم الذي أقسمه بالأمس أمام ربه وهو ألا يكون ظهيرًا للمجرمين ، وقد أقلع عن هذا الفعل بعد أن عرف المصرى أن موسى هو الذي قتل زميله بالأمس ، فذهب مسرعًا إلى فرعون مبلغًا ذلك إياه !. ولذلك بات موسى عليه السلام فى المدينة خائفًا من انتقام فرعون ، وانتقام أهل القتيل.

ونظرًا لأنه قد بَر بوعده له .. وتراجع عن مناصرة الإسرائيلى مرة ثانية. فقد ساعده رب العالمين فى الهروب من هذه المدينة .. ذاهبًا إلى أرض « مدين » التى مكث بها عدة سنوات .. بعدما تزوج من إحدى بنات النبى شعيب عليه السلام ، وهناك وعلى أرض سيناء كان على موعد مع الرسالة ، ومع كلام رب العالمين.

ويصور لنا القرآن الكريم .. كيف دبر اللّه تعالى لموسى عليه السلام طريق الهرب والنجاة من بطش فرعون وقومه هذه المرة أيضًا .. فى قوله تعالى : ﴿ **وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ۞ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [القصص: ٢٠، ٢١]

ولقد استجاب رب العزة لنداء عبده موسى عليه السلام الذي نجح فى عدة ابتلاءات من قبل نجاحًا باهرًا ، فأخرجه من أرض مصر واختاره نبيا ورسولاً لبنى إسرائيل ، وأول رسول ينزل عليه كتاب من السماء ، وهو التوراة.

ولقد بين لنا القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ**

يَامُوسَى ۞ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ۞ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ۞ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ۞ فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾ [طه : ١١-١٦].

* * *